مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد: 6 (رت 68) السنة: 2022

موقف حسن حنفي من القراءات المختلفة للتراث

Hassan Hanafi's position on different readings of heritage

زروقي ثامر[1]
المركز الجامعي آفلو الأغواط (لجزائر)
thamerdz2012@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/01/14 القبول 2022/09/02 النشر على الخط 2022/09/15
Received 14/01/2020 Accepted 02/09/2022 Published online 15/09/2022

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في مسألة التراث، التي تعتبر إحدى المسائل التي انشغل بها المفكرون العرب المعاصرون ، وهي من الإشكاليات الرئيسية في الفكر العربي الحديث والمعاصر ، لما للتراث من حضور في حقل الدراسات الفكرية والفلسفية بصرف النظر عن طبيعة ذلك الحضور وحدوده . ولعل المفكر المصري حسن حنفي واحد من الذين اتجهوا إلى دراسة التراث والاشتغال عليه، إيمانا منه بأن فهم الحاضر متوقف على فهم الماضي. فهذه الدراسة تحاول تسليط الضوء على المنهج الظواهري الشعوري الذي حاول حنفي تطبيقه على الجبهات الثلاثة: موقفنا من التراث القديم، وموقفنا من التراث الغربي ومن الواقع .لذلك تمثلت الإشكالية المركزية لهذه الدراسة فيما يلي: ماهو موقف حسن حنفي من القراءات المختلفة للتراث ؟

الكلمات المفتاحية : التراث ؛ التجديد ؛ المنهج ؛ الأصالة ؛ المعاصرة ؛ الواقع.

Abstract:

This study aims to research the issue of heritage, which is one of the issues that contemporary Arab intellectuals are preoccupied with, and is one of the main problems in modern and contemporary Arab thought, because of the heritage's presence in the field of intellectual and philosophical studies regardless of the nature and limits of that presence. The Egyptian thinker Hassan Hanafi is perhaps one of those who went to study and work on heritage, believing that understanding the present depends on understanding the past. This study tries to shed light on the al-Zawahiri's emotional approach, which Hanafi tried to apply on three fronts: our position on the ancient heritage, our position on the Western heritage and reality.

key words: Heritage; Renewal; Curriculum; Authenticity; Contemporary; Reality.

[1] المؤلّف المراسل: **زروقي ثامر** البريد الإلكتروني: **thamerdz2012@gmail.com**

1. مقدمة:

لقد انشغل المفكرون والباحثون العرب منذ القرن التاسع عشر وحتى وقتنا الراهن، بالعلاقة بين الوافد والراكد أوبين الثقافة الغربية و الثقافة العربية الإسلامية ، فمن المفكرين من نظر إلى الأثر الذي يمارسه الفكر الغربي على فكرنا أو ثقافتنا، بوصفه غزوا فكريا أو ثقافيا، وبالتالي دعوا إلى سد أبواب ونوافد الثقافة العربية أمام رياح الثقافة الغربية، حتى لا تقتلعنا من جذورنا، والمطالبة بالتحصن بالموروث الثقافي العربي الإسلامي.فلم يكن اهتمامهم بالتراث مستقلا بذاته، بل كان له علاقة بالآخر (الغرب)، فحاولوا معرفة الذات من جديد، لتحديد العلل والأسباب التي تمنع العربي المسلم من المشاركة في الحضارة المعاصرة. ومنه إن ما دفع الباحثين في الفكر العربي الحديث والمعاصر إلى دراسة التراث، وإلى التفكير في المشروع الحضاري القومي للأمة العربية والإسلامية هي الأزمة التي تتخبط فيها هذه الأمة، أزمة تتميز بالعمق والتعقيد وتزداد تفاقماً من وقت إلى آخر في وقت يزداد فيه الغرب المتقدم ازدهارا. وأمتنا تراثية تاريخية، لا يمكنها أن تعيش خارج موروثها الثقافي والحضاري كما لا يمكنها أن تنعزل عما يجري في عصرها وهو عصر كله تحديات حضارية. وأمام أزمة الثورة والتغيير الاجتماعي وأزمة البحث العلمي وهي أزمة التراث والتجديد ينطلق "حسن حنفي"(2021/1935) –وهو واحد من المفكرين المعاصرين في بناء مشروع فكري نظري حضاري قومي، يكون عند صاحبه خطة عمل نظرية للخروج من التخلف وتجاوز الأزمة التي تعيشها الشعوب العربية والإسلامية في واقعها المعاصر.ويظهر جليا للعيان أن المفكر "حسن حنفي" كان همه الجوهري هو البحث في التراث العربي والإسلامي، فيا ترى ما المقصود بالتراث؟ وماهي القراءات المختلفة للتراث؟ وما موقف حسن حنفي منها؟ هل كان رافضا لها أم مؤيدا لها؟. وما هي الانتقادات الموجهة لموقفه من التراث؟

2. مفهوم التراث:

1.2 الدلالة اللغوية للتراث:

جاء في كتاب (لسان العرب)"الوِرْثْ، الوَرَثْ، والإرَاثْ، والوِرَاثُ، والتُرَاثُ واحد والميراث أصله مِيوْرَاث انقلبت الواو ياء كسر ما قبلها والتراث أصل التاء فيه واو" والتراث والإرث والميراث: ما ورث وقيل: الوِرْثُ والميراثُ والميراثُ في المال، الإرثُ في الحسب "والتراث ما يخلقه الرجل لورثته أي أبنائه وأهله من بعده ، أي أنه كل ما ورثه الأبناء عن الآباء والأجداد. والتاء فيه بدل من الواو "وفي عن زَيْدُ ابنُ مِرْبَعٍ الأنصاريُّ رَضي اللهُ تعالى عنه، "قال: إنِّي رسولُ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم إليكم؛ يقولُ: كونوا على مَشاعِرِكم"، أي: كونوا على مواضِعِ نُسُكِكم، ومَعالِمِ عبادتِكم؛ ومنها الطَّوافُ والوقوفُ بعَرفةَ والحلْقُ والرَّميُ؛ "فإنَّكم على إرثٍ مِن إرْثِ أَبِيكُمْ إبراهيمَ" عليه السَّلامُ"[1]، أي في أصل صدق وهو على إرث من كذا على أمر قديم توارثه الآخر عن الأول كما تمكننا أن نفهم من هذا التعريف أن التراث مثله مثل الإرْث والميراث الذي يتركه الميت للحي كذلك هو شأن التراث هو بمثابة ترك الماضي في الحاضر الذي خلقه لنا الأسلاف. "[2] وقال الله تعالى أخباراً عن زكريا عليه السلام ودعاءه إياه (**فَهَبْ لِيَ مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوب وَاجْعَلْهُ رَبِ رَضِيًّا**) (سورة مريم:06) ،أي يبقى بعدي فيصير له ميراثي ويقال (أورثه الشيء ابوه) أو (ورثه بعضا عن بعض قدما) أو اورثه (كَابراً عن كَابر)

أما صاحب (المعجم الوسيط) فيعرفه على أنه مشتق من الإرث: وهو بقية الشيء والميراث والرِّماد والأمر القديم توارثه الآخر عن الأول. وفي حديث باب الحج قوله صلى الله عليه وسلم: (إنَكُمْ عَلَى إرْثٍ مِنْ إرْثِ أَبِيكُمْ اِبْرَاهِيمَ) [3].وجاء في (المعجم الوجيز) على أن كلمة

---

[1] – الراوي : يزيد بن شيبان ،المحدث : الألباني ، المصدر : صحيح ابن ماجه ،الصفحة أو الرقم.2456

[2] – ابن منظور،**لسان العرب**، مج2،دارصادر، بيروت، لبنان، ط2،1992، ص 199-201.

[3] – الراوي : يزيد بن شيبان ،المحدث : الألباني ، المصدر : صحيح ابن ماجه ،الصفحة أو الرقم.2456 ،شوقي،ضيف، **المعجم الوسيط** ، معجم اللغة العربية،القاهرة،مصر،ط4، 2004، ص14.

التراث مشتقة من مادة ورث ويقال ورث فلان المال ومنه وعنه يرثه وِرْثاً وإِرْثاً، ويقال: أورثه المرض ضعيفا والحزن هماً، والتراث يعبر عن الإرث والقيم الإنسانية المتوارثة".1 كما وردت لفظة التراث في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **وتَأكلُونَ التُرَاثَ أكْلاً لَمَا ويُحِبُونَ المَالَ حَبًا جَمًا**﴾ سورة الفجر، الآية 23 .فمعنى تَأْكُلُونَ التُّرَاث" أي الْمِيرَاث " أَكْلًا لَمًّا " أَيْ مِنْ أَيّ جِهَة حَصَلَ لَهُمْ مِنْ حَلَال أَوْ حَرَام. كما تعني كلمة التراث في اللغة الإرث أو الميراث وهي تدل على التقاليد والأمجاد القومية والشواهد الحضارية والثقافية الموروثة عن الأجداد فنقول مثلا: تراث بلد أو تراث شعب"2.

والخلاصة أن كلمة التراث تحمل في طياتها معان لغوية كثيرة ومتنوعة، فهي ما يتركه السلف للخلف من قيم مختلفة، وما يخلقه الرجل لورثته. وحتى نصل إلى المعنى الحقيقي والجوهري لهذا اللفظ ، فما المقصود بالتراث اصطلاحا؟

2.2 الدلالة الاصطلاحية للتراث:

إذا كان الباحثون يتفقون على أن التراث ينتمي الى زمن الماضي، فإنهم يختلفون في تحديد هذا الماضي، فبعضهم يرى أن التراث: هو كل ما وصل إلينا من الماضي البعيد، ويعرف على هذا الاساس بأنه كل ما ورثناه تاريخيا.

ويعرفه بعض الباحثين بأنه "كل ما خلفته الأمة من إرث ديني وثقافي وأدبي وعلمي حضاري وفلكلوري فالتراث بالمفهوم الحديث والمتداول هو كل ما وصل إلينا مكتوبا في علم من العلوم أو محسوسا في فن من الفنون، مما أنتجه الفكر والعمل في التاريخ الإنساني عبر العصور، فكل أمة إذن تراثها الذي هو ثمرة فكرها وعقائدها وحصيلة جهدها العقلي والروحي والإبداعي.

ويعرفه المفكر "جابر عصفور": "بأنه ما ورثناه تاريخيا عن أسلافنا الذين هم الأمة البشرية التي نحن امتداد طبيعي لها، فالتراث ميراث إنساني لجهد بشري خلفه الذين أورثونا إياه."3 ويعرفه آخر: بأنه نتاج بشري يعبر عن كينونة الذات ضمن شروط تاريخية أسهمت في تشكيل خصوصيات الأفراد الذين أنجزوا بفعل الإبداع ورؤيتهم الخاصة للوجود، وهو إن كان ثابتا لدى منتجيه فهو متحول في الأزمنة والعصور، ويرى المفكر "فهمي جدعان": "أن التراث عبارة عن مجموعة من المواقف وليس مجموعة من المعارف".4

ويعرف المفكر" زكي نجيب محمود" التراث أنه:" عالم فسيح الجنبات، كثير الابعاد وعميق الاغرار فيه اصول الدين، وفيه المذاهب الفقهاء، وفيه الشعر وفيه النثر الأدبي، وفيه الفلسفة وفيه الكتب المتصوفة، وفيه علوم اللغة وفيه العلوم بكل أنواعها"، فهو التراث الذي امتزجت فيه جميع المعارف والعلوم ولم يقتصر على الفقه والدين فقط، وانما حتى العلوم النظرية الاخرى كالفلسفة والشعر".5

إن جميع هذه التراكمات والمتكدسات الضخمة من الافكار والمأثورات، والكتب والمباني، فهي في مجموعها تمثل المكون الأساسي للتراث الإسلامي كما يعطي مفهوما آخر للتراث في موضع آخر من حيث أنه" شروح الدين ونظم الشعر وإرسال الحكمة والشجاعة في القتال وإكرام الضيف وما الى هذه الجوانب من الحياه اسلافنا" وهو مجموعة السلوكات والصفات الخلقية الحميدة التي ينبغي على الانسان ان يتميز بها.

---

[1] – نبيل عبدالسلام،هارون،**المعجم الوجيز**،وزارة التربية والتعليم،القاهرة،مصر،د،ط، سنة 1994، ص 11.

[2] – حنفي حسن، **التراث الإسلامي**"،دراسة تاريخية ومقارنة"،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،د،ط، 1998، ص11.

[3] – الجابري محمد عابد، **التراث والحداثة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، "لبنان"، ط1، 1991، ص 45.

[4] –بن حامد عبلة، **مفهوم التراث في النقد الحديث**: المرايا المقعرة لعبد العزيز حمودة،مذكرة لنيل شهادة الماستر، في تخصص الأدب عربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف"، المسيلة"، (الجزائر)السنة الجامعية: 2016-2017، ص 37.

[5] – محمود زكي نجيب،**عربي بين ثقافتين**، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1993،ص 191.

فالتراث عبارة عن موروث ثقافي واجتماعي ومادي الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب، لأنه يراعي الشمولية في تحديده فهو يضم كل المقومات الثقافية كالعلم والأدب والتاريخ واللغة والدين والمقومات الاجتماعية كالأخلاق والعادات والتقاليد".1

3.2 مفهوم التراث عند حسن حنفي:

يعرف المفكر "حسن حنفي" التراث: "بأنه كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة فهو إذن قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطى، حاضر على عديد من المستويات وأما بعض الباحثين فيرون أن التراث" هو كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي سواء ماضينا أم ماضي غيرنا سواء القريب منه أم البعيد، هذا التعريف عام وشامل، أما المفكر "محمد عابد الجابري" فيعرف التراث بأنه: الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية العقيدة الشرعية، اللغة، الأدب، الفن، الكلام، الفلسفة والتصوف."2

3.موقف دعاة الأصالة:

– لقد هدف "حسن حنفي" في مشروعه التجديدي إلى نقد العقلانية الإسلامية في الفكر الغربي المعاصر والذي يقصد به الإنتاج الفكري منذ فجر النهضة العربية حتى الآن أو الذي بدأ بروادها الثلاثة "جمال الدين الأفغاني" مؤسس حركة الإصلاح الديني، و"الطهطاوي" مؤسس اللبرالية الحديثة، و"شبلي الشميل" رائد التيار العلمي العلماني، بحيث نمتد جذور هذه التيارات الثلاثة في التاريخ قبل عصر النهضة "عند محمد عبد الوهاب" و"الشيخ ابن تيمية" " وأحمد ابن حنبل" بالنسبة للإصلاح الديني وعند " حسن العطار" و"أبو الوليد بن رشد" والمعتزلة وفقهاء السياسة الشرعة المتأخرين مثل " **ابن الأزرق**" بالنسبة للتيار الليبرالي، وعند علماء المسلمين، علماء الرياضيات والطبيعيات واللغة والتاريخ بالنسبة للاتجاه العلمي العلماني[3] .

ونجد "حسن حنفي" يسمي على هذه الاتجاهات الثلاثة بالاتجاهات الدينية التي ظهرت قبل1952م حسب رأيه«إن من السهل وصف الاتجاهات الدينية في مصر قبل1952م إذ يحكم هذه الاتجاهات بناء ثلاثي يضم طرفين متعارضين وطرف أوسط، الأول الاتجاه المحافظ أو التقليدي الذي يمثله المؤسسة الدينية أو الجماعات الدينية مثل الإخوان المسلمين، الثاني الاتجاه العلماني أو الليبرالي الذي تمثله الجماعات المناهضة للمؤسسة الدينية مثل الليبراليون والعلمانيون والماركسيون والغربيون بوجه عام[4]الثالث الاتجاه الإصلاحي أو التجديدي الذي يتراوح بين الاتجاهين المتعارضين السابقين[5]».

يبين لنا "حسن حنفي" أن الاتجاهات الثلاثة وبالرغم من تنوعها واختلافها في مواقفها إلا أنها في مجملها تعبر عن اتجاهات دينية لا غير. حيث يقول: «هذا الموقف ينزع إلى الاكتفاء بالتراث الأصيل ويرفض كل محاولات ربطه بالمعاصرة أو التحديث أو ما يقال بالفكر الغربي وقولهم بذلك جاء بناء على أن التراث القديم فيه كل شيء مما معنى أو ما هو آت، ولذلك تراهم يعتزون بهذا التراث لأنه جزء من الشخصية الإسلامية وجزء من ثقافة المسلمين التي وضعها الآباء والأجداد[6]» وهذا الموقف في نظر "حسن حنفي" سماه بالاتجاه الذي يكتفي بالتراث ويفتخر به ويعتز به فيما يرى وذلك يعنى أن تراثنا القديم حوي كل شيء مما مضى أو مما هو آن وهو فخرنا وعزنا وتراث الآباء والأجداد، علينا الرجوع إليه ففيه حل لجميع مشاكلنا ،وتبرز معان كثيرة فيما هو مأثور مثل قول الإمام مالك رضي الله عنه: «لا

[1] – حنفي حسن، **موقفنا من التراث القديم**، المؤسسات للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة "مصر"، ط4 ، 1992 ، ص 24.

[2] – ، المصدر نفسه ،ص 15–19.

[3] – تيرس حبيبة، **العقلانية العربية وأسس بناء المشروع الإصلاحي عند حسن حنفي**، مجلة متون، العدد4، المجلد11، سعيدة،الجزائر، سنة2020 ، ص53.

[4] –حنفي حسن، **الدين والثورة في مصر**، ج4، مكتبة مدبولي،القاهرة،مصر، د.ط،1952/1981 م، ص6.

[5] –المصدر نفسه، ص6.

[6] – مراجي رابح ، **التجديد عندحسن حنفي**، مجلة النقد الثقافي، العدد1، قسنطينة،الجزائر،سنة2013م.ص25.

يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها » كما تبرز معان كثيرة مما هو وارد في الأحاديث النبوية الشريفة مثل حديث " خير القرون قرني ثم الذي تلاني"، فلا يتقدم الحاضر إلا بالرجوع إلي الماضي أو أن التاريخ يسير في زهو مستمر وأن قمة التاريخ كانت في العصر الذهبي في الماضي وأنه لا يمكن اللحاق بهذه القمة من جديد، فذاك عصر الطهارة قد انقضى وولى[1].

من هذا المنطلق يرى "حسن حنفي" أن هذا الاتجاه يتميز بالمحافظة على تراث الأولين والفخر بهم والاعتزاز بهم وهذا الأخير يقدم تبريرات واهية لا ترتكز على أساس برهاني منطقي، بالإضافة إلى أنه يمكننا المضي قدما في الحاضر إلا بالالتفات إلى ماضي الأجداد.

وفي نظر بعض الباحثين فهذا الاتجاه ينظر إلى التراث باعتباره حوى على كل الحلول والإجابات للمشاكل التي حدثت في الماضي ،والتي ستأتي فينا بعد، بحيث يجب الرجوع إليه والبحث فيه عن حلول لكل المشاكل التي تصادفنا في الحياة، ويغلب على هذه الرؤية حسب "حسن حنفي" العاطفة والاعتزاز بالتراث"[2].

وفي هذا الصدد نجد "حسن حنفي" موضحا أن قضية التراث ليست قضية مبتذلة مركزية في إطار الاعتزاز بالماضي والفخر بل هي تصور كامل شامل لا يقتصر على الفخر والعزة وقد قام حسن حنفي بالرد على هذا الاتجاه الذي يكتفي بالاعتزاز بهذا التراث فيما يلي: «ليس التراث قضية واعتزاز بالماضي لما تركه الآباء والأجداد لأن الاعتزاز بالماضي إسقاط من الحاضر عليه بمعنى أنه تعويض عن قصور جيلنا بالهروب إلى الماضي، انصياع للعواطف القومية المعاصرة التي تقوم على بعث النهضة القومية التي تسربت إلينا من مسار الحضارة الغربية في القرن الماضي، الاعتزاز بالماضي استلام للنزعة الخطابية السائدة في عصرنا والتي تغطي الواقع بسيل من الخطب الحماسية، وفي غياب العقل يسود الانفعال[3] »

ما يمكن التوصل إليه إلى أن "حسن حنفي" ربط فكرة الاعتزاز والافتخار بالتراث بالانفعال الذي هو ناتج عن إتباع الأهواء وتقليد الغرب، وبهذا لا وجود للعقل في فهم التراث، لأن غياب العقل هو غياب الفهم الصحيح للتراث القديم بالإضافة إلى ذلك الاعتزاز والافتخار بالموروث قد صاحبه في مغالطات خطابية الغير منهجية ويتحكم فيها ميل العواطف ويسود الانفعال الناتج عن المراهقة الفكرية حسب رأي "حسن حنفي".

ولقد سجل "حسن حنفي" إعجابه بنموذج العقلانية الإصلاحية من جهة التأمل والتأسيس بمحاولة جعل العقل الميزان الأولى لفهم الدين والأخذ به في تخفيف سعادة الأمم ومحاولة تنقية العقول من الخرافات والأوهام التي علقت بها وذلك ما نجده عند جمال الدين الأفغاني"[4].

وبعد أن سجل إعجابه بالاتجاه نجده يأخذ منه موقفا واضحا وصريحا نحوه وذلك فيما يلي: «ولا يمكن تسمية هذا الموقف بالموقف المحافظ بالقضية- ولكن هذا الموقف يكشف عن وضع اجتماعي لفئة معينة من الناس تبغي المحافظة على مكاسبها والبقاء في مناصبها أو ترنوا إلى مكاسب أعظم ومناصب أعلى عن طريق المزايدة، في الدين والحمية في الدفاع عنه فهي ظاهرة اجتماعية أكثر منها ظاهرة فكرية، وكثيرا ما تحدد الظواهر ببنائها الاجتماعي» ويكشف هذا الموقف عن الآتي[5]:

---

[1] -حنفي حسن، **التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم**، مؤسسة الهنداوي، القاهرة، مصر، ط2، 2017م، ص30.

[2] -مختار ديدوش محمد، ورقة بحثية، **التراث والتجديد عند حسن حنفي**، رسالة مقدمةلنيل شهادة الدكتوراه، في تخصص فلسفة من كلية علوم إنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2،أبوالقاسم سعد الله ، الجزائر- د.ت، ص2.

[3] -حنفي حسن، **التراث والتجديد**، (مصدر سابق)، ص 30.

[4] - تيرس حبيبة، **العقلانية العربية وأسس بناء المشروع الإصلاح عند حسن حنفي** ، (مرجع سابق)، ص53.

[5] - حنفي حسن، **التراث والتجديد**، (مصدر سابق)، ص ص 30-31.

أ/النقاف: وذلك أن أصحاب دعوة الاكتفاء الذاتي للتراث لا يؤمنون بشيء، ولا يبغون إلا المحافظة على مصالحهم الخاصة- ويكتفي إقامة جدول إحصائي لجماعة العلماء والهيئات الدينية".[1]

ب/ العجز: ولما كانت هذه الفئة يطبعها إحدى طفيليات المجتمع المتخلف فإنها تعيش عليه وتستمد ويودها من وجوده ويستغلها الوضع السياسي القائم من أجل إخفاء الشرعية على نفسه، وتبرير وجوده أمام الجماهير، فهي إذن عاجزة عن جعل شيء ولو كانت قادرة لفعلة وتعويضا عن هذا العجز تقييم معركتها في السواء وتبعد أنظار الحاضرين عن واقعهم وتجعلهم يعيشون في الماضي[2].وهو عجز فكري لأنها فئة غير قادرة على القيام بأي دور في قضية التغير الاجتماعي مع أنها مازالت مرتبطة بالشعب في المواسم والأعياد والمآثر ودروس العصر و المغرب والعشاء ".[3]

ج/الترجسية: فإن هذا الموقف ذاتي خالص تنقصه الموضوعية ويكشف عن ذاتية فارغة خالية من أي مضمون هو موقف نرجسي لا يرى فيه الإنسان أبعد من مصالحه الخاصة يعيش ويدور في فلك أهوائه[4]، ولا ينكشف إلا بتأثر من خلاله وهو ما يسمى بالمصلح الديني الذي يرخص النفاق ويكشف عن الدين في نقائه وصفائه وهو ما يسمى بالمصلح الاجتماعي أو إن شيئنا بالثائر الذي يغير من بناء الواقع نفسه وهذه النرجسية ناشئة في الحقيقة إما عن تفاق وتستر ومساومة وممالأة كما هو الحال في الأول أو عن عجز ومنعطف وخنوع واستكانة كما هو الحال في الثاني"[5].

- ما يمكن التوصل إليه من خلال ما قدمه حسن حنفي نحو هذا الاتجاه كالتالي:
- اتجاه يدعي المحافظة والتمسك بالتراث.
-يتستر وراء هذا الاتجاه لتحقيق مصالحه الشخصية ومصالح السلطة.
-يحتوي على أبعاد أو أنماط نفاق ونرجسية وعجز حيث النرجسية هي نتاج الأول والثاني.

4. موقف دعاة المعاصرة : وهو الذي يدعو إلى الاكتفاء بالتجديد دون الرجوع إلى الماضي أو التراث لأن التراث حسبهم خال من عوامل التقدم والتحضر والرجوع إليه لا شك يقود أصحابه إلى التخلف والانحطاط والتقهقر وغياب الشجاعة والإقدام وتجرد من المسؤولية في اتخاذ أي قرار يمس بتطوير الثقافة والفكر وكل ما يمت بصلة إلى مسايرة العصر ولذلك يقول "حسن حنفي" على لسان أصحاب هذا **التيار** «إن القديم لا قيمة له في ذاته كفاية إلا وسيلة » ولا يحتوى على أي عنصر من عناصر التقدم، وبأنه جزء من تاريخ التخلف أو أحد مظاهره[6].وتتجه لهذه السلبيات الموجهة من طرف هذا الاتجاه إلى التراث فإنهم يدعون إلى البديل المقترح كونه يحقق الواقع ويسير فوق التطور الذي وصل إليه الآخر (الغرب) حيث يقول حسن حنفي هذا التيار الداعي إلى التجديد «أن الجديد علمي عالمي يمكن زرعه في كل بيئة» وكأن هذا الموقف فيه ما يدعو إلى القول بأنه على حق من حيث المبدأ وعلى خطأ من حيث الواقع[7]»وهذا الاتجاه تمثله

[1] – المصدر نفسه، ص31.
[2] – المصدر نفسه، ص31.
[3] – المصدر نفسه، ص31.
[4] –المصدر نفسه، ص31.
[5] – المصدر نفسه، ص31.
[6] – مراجي رابح ، **التجديد عند حسن حنفي**، (مرجع سابق)، ص26.
[7] – المرجع نفسه، ص26.

مقولة " القطيعة المعرفية" الحل الراديكالي وهو ظاهرة اجتماعية ناتجة عن تفاوت علمي وظيفي وأسبابها قصور النظرة العلمية في تقييم التراث تقليد الغرب، الازدواجية بين رفض تقليد القديم مع تقليد الوافد[1].ويكشف هذا الموقف عن الآتي:

1.4 قصور النظرية العلمية: يقول "حسن حنفي" :«فليس التراث قيمة إن لم يكن كغاية في ذاته فعلى الأقل كوسيلة فالتراث جزء من المخزون النفسي للمعاصرين فهو إذن إحدى مكونات الواقع ، كالعادات والتقاليد والأمثلة الشعبية وهذه لا تلغي أو تسقط عن الحساب وتغيير الجماهير وتطوير الواقع لا يتم بطريقة آلية عن طريق استبدال جماهير بأخرى أفضل، وواقع بواقع آخر أكمل بل بتطوير الموجود بالفعل دون نظر إلى التكاليف أو الوقت أو الجهد[2]»

يحاول حسن حنفي أن يقدم لأي شخص سواء كان المفكر أو القارئ أو الباحث أو من يريد تطوير واقعه أو بيئته فكرة أن التراث وأي شيء موروث إذ لم يكن هو الغاية المنشودة للبحث فيها فعلى الأقل أن يكون أداة من أجل التطوير ولتطوير الواقع وجب أن تكون لدينا ممارسة قائمة على الفعل لا الهروب من واقعنا وعدم تقبله، فهو البناء الأفقي حسب ما يرى هو:

2.4 التقليد :

تخاطر هذه الفئة بالوقوع في التقليد وباستعارة تجارب سابقة وبالوقوع في العمومية ونسيان الخصومة وذلك لصدور الجديد عن بيئة ثقافية مغايرة لبيئة الثقافة الوطنية وهي في الغالب البيئة الأوروبية سواء كانت الدعوة إلى النظم الليبرالية أم إلى النظم الاشتراكية لذلك كان أنصار التجديد متأوربون، سلوكيا وثقافيا[3].

–هنا قد نورد قول 'ابن خلدون' لأننا نجد "حسن حنفي" متأثرا به أيضا أن المغلوب مولع بتقليد الغالب لذلك نحن تقلد الآخر في مأكله ومشربه ونظمه وسلوكياتنا فأين هويتنا نحن؟

3.4 الازدواجية :

وذلك أكثر هذه الفئة تربطها بأوروبا أوشاج ثقافية أو دينية أمر علمانية، كما نشأت في الغرب وتكونت ثقافيًّا فيه وتظن أن التراث القديم تراث إسلامي لا يرتبطون به دينيا أو ثقافيا، فهي تدعى الإلحاد أمام المسلمين وتؤمن بالله بينهما وبين نفسها، تريد منهجا اجتماعيا جذريا يحدد العلاقة بين الإنسان والإنسان وتؤمن بمنهج صوفي خالص يحدد العلاقة بين الإنسان والله في أن النظرة العلمية تحتم عليهم وحدة المنهج"[4].

إذ يقول: «وأنه لا يمكن تصنيع الريف عن طريق وضع آلة في القرية تدخل من جانب الفاكهة وتخرجها من جانب آخر معلبات، فينظر إليها الريفي بعين الدهشة والإعجاب وينقل نظريته إلى الضريح القادر على القيام بالمعجزات وإلى الوالي القادر على القيام بالكرامات– ينقل نظرته هذه إلى الآلة فكل بالنسبة إليه شيء يثير الدهشة في غياب الرابطة بين العلة والمعلول فيتغير البناء التي لا تغيير البناء الفوقي آليا بل لابد من عملية إعادة تفسير القديم من أجل تغيير النظرة للعالم وهذا هو شرط التصنيع وأساس التقدم [5] »

يمكن استخلاص الفكرة الآتية أن "حسن حنفي" يرى أن طريق التقدم والتجديد يكون بالعلم وبالمنهج الصحيح بحيث أن التجديد لا يقتصر على التقنية المتطورة مثلا حتى يمكن أن نقول نحن في تطور وتقدم، فالتقدم يحتاج إلى استراتيجية مضبوطة للسير إلى الأمام والتجديد يقوم بإعادة تهيئة هذا الموروث القديم وفهمه فهما صحيحا فنحن لا نحتاج إلى تقنية متطورة نتعجب منها وتندهش بل نريد رابطة تربط

[1] – النشار مصطفى، **فلسفة حسن حنفي مقاربة تحليلية نقدية**، دار النشر نيويورك للنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، ط1، 2007م، ص201.

[2] –حنفي حسن، **التراث والتجديد**، (مصدر سابق)، ص32.

[3] – المصدر نفسه، ص32.

[4] – حنفي حسن، **التراث والتجديد**، (مصدر سابق)، ص33.

[5] – المصدر نفسه، ص32.

السبب بالمسبب فمجتمعاتنا غيرت البناء التي الهياكل ووسائل الإنتاج ولم تتغير بناءها الفوقي عالم الأفكار من أجل تحقيق التجديد للسير قدما وهنا نجد حسن حنفي متأثرا بفكرة كارل ماركس (البناء التحتي والفوقي). وما يمكن استنتاجه من خلال ما عرفناه للاتجاه الذي يكتفي بالتجديد فقط دون القديم لأن الارتباط بالقديم يؤدي بنا إلى نقص الهمة والشجاعة وهو ذاته التخلف في التاريخ هذا الأخير يدعو إلى الليبرالية الأوروبية القائمة على الحرية والفردية الشخصية ويعد حنفي رافضا وناقدا لهذا الاتجاه لأنه يرى الغرب أساس التحديث وهذا خطأ وقعوا فيه هؤلاء نتيجة لقصور النظرة العلمية وعدم إتباع منهج واحد ذو أساس وقواعد.

5. الاتجاه التوفيقي : هو الذي يكتفي بالجمع بين التراث والتجديد، وهو الحل الانتقائي الذي يعتمد على تضمن التراث لنظريات تقدمية في نسيجه وكذلك على صلاحية بعض النظريات العلمية العلمانية المحايثة له، وسببه النزعة الانتقائية طبقا للهوى بشكل سطحي."[1] حيث يقول :« يعني هذا الموقف الثالث الآخذ من القديم ما يتفق مع العصر وإرجاع الجديد لمقاييس القديم، فهو موقف شرعي من الناحية النظرية يود أن يستوعب مزايا كلا الموقفين السابقين وأن يتخلى عن عيوبهما وقد عبر الكثيرون عن نواياهم للقيام بهذا الدور، ولكن إعلان النوايا شيء وتحقيقها شيء آخر خاصة ولو تم ذلك بأسلوب خطابي فإذا تم شيء فإما يتم لحساب القديم وبذلك يرجع إلى الموقف الأول وإما لحساب الجديد وبذلك يرجع إلى الموقف الثاني.»، لذلك بقيت المشكلة تحتاج إلى دراسة وإلى تحديد الصلة الدقيقة بين التراث والتجديد بنظرة علمية بعيدة عن كل خطابة أو عن تحقيق أي مصلحة شخصية وقد ظهرت عدة محاولات جادة للتراث والتجديد تتم بطرقتين .

أ– التجديد من الخارج : وذلك عن طريق انتقاء مذهب أوروبي حديث ومعاصر ثم قياس التراث عليه، ورؤية هذا المذهب المنقول في تراثنا القديم وقد تحقق من قبل ومن ثم نفتخر بأننا وصلنا إلى ما وصل إليه الأوروبيون المعاصرين بعشرة قرون".[2]

ب–التجديد من الداخل : لقد سبق الذكر أن "حسن حنفي" في هذه الطريقة أنه ركز على الجوانب التقدمية في تراثنا القديم، موضحا حسن حنفي «لكننا جميعا محاولات جزئية تبرز بعض الجوانب التقدمية الأصلية في تراثنا القديم، كما أنها انتقائية في أخذ ما تريد وترك ما لا تريد فالمحافظ له نفس الحق الذي للتقدمي في انتقاء بعض الجوانب المحافظة في تراثنا القديم ».ويوضح "حسن حنفي" من خلال هذا المنطلق معنى التوفيق ويورد رأيه حيث يقول: «التوفيق له معنيان: معنى سلبي ومعنى ايجابي ، المعني السلبي هو أن تأتي بأجزاء متناثرة لا رابط بينها وتكون منها بناء كليا سرعان ما يتفكك ويقوم على نفاق وتظاهر كمن يأخذ بالتحديث كمضمون وبترك الأشكال الخارجة للتراث أو بين من يأخذ بأخر نتاجات العلم وفي نفس الوقت تسود حياته اليومية الخرافة أو في النظم السياسية والاجتماعية[3]»،وهنا إشارة للاتجاهات التي تكتفي إما بالأخذ بالتراث أو الأخذ بالتجديد فقط وهنا يظهر سلبية هذا الموقف.

أما التوفيق الإيجابي: «وهو استيفاء حجتين أصليتين شرعيتين كالتراث والتجديد والأصالة والمعاصرة فهما لا شك فيه أن المجتمعات منها التراثية كما هو الحال في مجتمعاتنا ولا يمكن عمل أي تحديث إلا من خلال التواصل – ولا سبيل إذن في هذه المجتمعات إلا التحديث من خلال التواصل وفي نفس الوقت قبول تحديات العصر[4]». ومن خلال هذا المنطلق يبين "حسن حنفي" أن «قضية التراث والتجديد هي في أساسها مسألة التنظير الباشر للواقع منذ خطأين شائعين: الأول الذي يتحدث عن العصر وكأن العصر يحتوي على حلوله في ذاته»[5].

---

[1] – النشار مصطفي، **فلسفة حسن حنفي مقارنة تحليلية نقدية**، مرجع سابق، ص201.

[2] – النشار مصطفي، **فلسفة حسن حنفي مقارنة تحليلية نقدية**، مرجع سابق، ص36.

[3] – حنفي حسن، **الدين والثورة في مصر1952/1981م**، الدين والثقافة القومية، ج1، مكتبة مدبولي، القاهرة/مصر، ط1، 1987م، ص296.

[4] – المصدر نفسه، ص296.

[5] – المصدر نفسه، ص ص 36-37.

والخطأ الثاني هو الذي يبدأ باستنباط الواقع من نظرية مسبقة سواء كانت موروثة أو منقولة أو عصرية تجمع بين الموروث والمنقول، فالتراث والتجديد ليس المقصود منه التعامل مع معطيات ثقافية والإصلاح بينهما بل المقصود منه إدراك الواقع بنظرية علمية ويقوم أصحاب الموروث وأصحاب المنقول « في نفس الخطأ وهو البدء بنظرية مسبقة وعلى الواقع أن يتكيف طبقا لها وإن اختلفا معا في مصدر هذه النظرية وليس في أسسها وصلاحيتها فكلاهما يدافعان عن فكر لا عن واقع وكلاهما من أنصار التراث وليس من أنصار التغيير[1]»

ما يمكن التوصل إليه من خلال ما قدمه "حسن حنفي" في مسألة التراث والتجديد هو أن هذه الأخيرة لا تقتصر على الجمع بينهما أو الأخذ بأحدهما أو التوفيق بينهما وإنما هي تعتبر أن الموروث القديم يحتوي في داخله عن حلول لكل الموضوعية أما الخطأ الثاني فيتمثل أن مسألة التراث والتجديد تقوم على إدراك الواقع بنظرية علمية أي بالعلم والمعرفة وليس بمعطيات ثقافية فكلاهما أي الخطأين يدافعان عن فكر ما، ولا يعبران عن واقع. ونجد "حسن حنفي" يقدم موقفه من تلك المحاولات التجديد اتجاه قضية " التراث والتجديد"

«فأما محاولات التجديد فإنها أيضا تتم عن طريق الجمع بين التراثيين الموروث والمنقول من أجل التوفيق بينهما وكأن العصرية تنفي اتفاق التراث القديم مع تراث العصر فهي محاولات فكرية وإن كان الواقع هو المقصود[2]» ،هنا يبين "حسن حنفي" أن تلك المحاولات أخطأت في إصدارها لحكم يتمثل في أن التراث القديم والعصري يتفقان فهذا ناتج عن غفلة للأساس الشعوري للجماهير وهي لا تعبر عن واقع نبتغي منه غاية وهدف بل هي تعبر عن فكر أصحابها فقط لا غير، ثم يضيف حسن حنفي ويوضح أن قضية التجديد تعبر عن مضمون الواقع الذي نعيشه بصفة مباشرة من أجل فهم التراث فهما صحيحا وإحداث تغيير كلي شامل في قوله: «أما " التراث والتجديد" فهو القادر على التنظير المباشر على تغييره فالتراث هو نظرية الواقع والتجديد هو إعادة فهم التراث حتى يمكن رؤية الواقع ومكوناته[3]»،وما يمكن استخلاصه أن التراث يحتوي الواقع وهو في حد ذاته نظرية وأن هذا الواقع يختلف من عصر إلى عصر ومن هنا فوظيفة التجديد تكمن في إعادة هذا الموروث كي يتسنى لنا فهم الواقع وإحداث تغيير ويوضح حنفي أن البداية للتغيير تكون بالتراث أو بالواقع فكلاهما يعبران عن منهج مادمنا لم نغفل عن أحدهما ويقول: «سواء بدأنا من التراث لفهم الواقع أو التنظير المباشر للواقع فكلا المنهجين النازل والصاعد، يؤديان إلى نفس النتيجة ويصلان إلى نفس التحليل إن تم تطبيقهما معا وليس كلا منهما على انفراد، فلا الواقع يستنبط من الفكر، ولا الفكر يأتي من الواقع المسطح الجزئي وإن كان يأتي من الواقع العريض، وذلك راجع واقعة الوحي الذي هو مصدر التراث وكيف أنه جاء تلبية لنداء الواقع وتكييف على أساسه[4]» هنا يبين حسن حنفي أن الواقع كان قبل نزول الوحي واقع يسوده الجهل والخرافة والشعوذة ولا يقوم على أساس العلم والمعرفة ولهذا بعد نزول الوحي أصبح المنبع الأساسي لهذا التراث الذي بين أيدينا وأنه جاء تلبية لنداء هذا الواقع المعاش، وبهذا يعتبر هذا الأخير هو المقصود وليس الفكر في حد ذاته لأننا إذا فهمنا تراثنا وواقعنا نستطيع أن يقوم فكرا ما ويمكن أن نعبر عن كليهما بالمنهج النازل والصاعد وهنا نجده متأثرا بالفيلسوف الألماني فريدريك هيجل بوجه الخصوص.

6. موقف حسن حنفي من المنطلقات المنهجية:

[1] – المصدر نفسه، ص37.

[2] –حنفي حسن، **التراث والتجديد**، (مصدر سابق)، ص37.

[3] – المصدر نفسه، ص37.

[4] – المصدر نفسه، ص37.

إن اهتمام "حسن حنفي" بمسألة "التراث والتجديد" لم يكن عبثا على أرض الواقع وإنما كان يعبر عن موقفنا الحضاري وواقعنا المعاصر كركيزة أساسية ليس هذا فقط وإنما عير عن أزمة أخرى تكمن في أزمة المناهج في الدراسات الإسلامية المستعملة وفي البحث العلمي في بلداننا ،فما هو موقفه من المنطلقات المنهجية المستعملة في دراسة التراث؟

يرى المفكر "حسن حنفي" أن التراث والتجديد أيضا تعبير عن أزمة أخرى وهي أزمة الدراسات الإسلامية في الجامعات والمعاهد العليا فإذا كانت أزمة التغيير أزمة الثورة في واقعنا فإن أزمة الدراسات الإسلامية هي أزمة البحث العلمي، لذلك كان« التراث والتجديد» تعبيرا عن أزمتين:

1.6 أزمة التغيير الثوري وأزمة البحث العلمي"[1]،حيث أن الأزمة التي ظهرت أو ما يصطلح عليها بأزمة المناهج راجع إلى خطأين في قوله: «وترجع أزمة المناهج الحالية إلى خطأين النزعة العلمية والنزعة الخطابية، الأولى تسود معظم دراسة المستشرقين والثانية تسود معظم دراسات المسلمين وقد تعم النزعة الخطابية بعض دراسات المستشرقين عندما يقومون بتقريظ في الحضارات التي يدرسونها، كما قد تعم النعرة العلمية دراسات المسلمين نظرا لتبعيتهم للمستشرقين أو لاستعمالهم الشائع والمشهور دون تفكير منهجي أولي، وكلا الخطأين راجعان إلى الطابع الحضاري لكل فئة من الباحثين[2] »

2.6النزعة العلمية : تنشأ النزعة العلمية أساسا من استعمال منهج أو طريقة أو عادة تخالف تماما موضوع البحث لأنها «**مادية**» ترمي إلى دراسة الفكر عن طريق الحوادث التاريخية أو الوقائع الاجتماعية أو ترجعه إلى الإبداع الشخصي أو الأثر الخارجي وهذا متناقض تماما لطبيعة موضوع البحث باعتباره ظاهرة نشأت من مصدر قبلي وهو "**الوحي**"، وبعد تحول نصوصه إلى معاني والمعاني إلى أبنية نظرية فوصف الظاهرة إلى معنى عن طريق منهج في التفسير والفهم وكيفية تحويل المعنى إلى نظرية عن طريق البناء العقلي لها[3] ويوضح حسن حنفي أن هذه الظاهرة ظاهرة فكرية في عموميتها صادرت عن الوحي وأن هذه النعرة نشأت نتيجة تعارض المنهج مع الموضوع المدروس لهذه الظاهرة ونجد "حسن حنفي" يقدم تقييم للظاهرة المدروسة وذلك خلال إرجاعها إلى مصدرها الأصلي ألا وهو النص ثم ذلك إصدار حكم عليها (بالسلب أم بالإيجاب) وذلك من خلال ما قدمه في قوله:« وبعد ذلك تقييم الظاهرة الفكرية بإرجاعها إلى مصدرها الأول وهو النص أو الحكم عليها بأنها إيجابية أي من النص أو سلبية أي من الخارج فإن كانت الظاهرة الفكرية تعبيرا حضاريا عن جانبين الأول يتابع خروج الظاهرة الفكرية من النص وهذا هو الوصف الظاهري التكويني الذي يبين النشأة والتطور والثاني يرجع الظاهرة الفكرية إلى النص من جديد لتصفية ما يمكن أن يعلق من آثار ثقافية أخرى أو من بناءات وأحكام بينية وهذا وصف للظاهرة الارتدادي[4]».وهنا "حسن حنفي" يقدم لنا وصفا للمناهج المستعملة لدراسة الظاهرة الفكرية من خلال صدورها من النص وهو إشارة إلى " الوحي" أو النص القرآني يبحث في نشأته وتطوره وهذا ما سماه تكوين الظاهرة أما المنهج الثاني منهج يخالف الأول فهو يقوم بدراستها من خلال إرجاعها للعارض من أجل تصفيتها من كل الشوائب التي علقت بها نتيجة لبيئتها أو ثقافتها. ويوضح "حسن حنفي" هذا في قوله :«تصبح الظاهرة مادية خالصة لها أصلها في التاريخ الذي أعطاها أساسها وفي المجتمع الذي أعطاها طبيعتها ويرجع هذا الخطأ نسبيا إلى أن جميع المستشرقين أو جلهم من أهل الكتاب

[1] – حنفي حسن، **التراث والتجديد**، (مصدر سابق)، ص 68.
[2] – المصدر نفسه، ص ص 70-71.
[3] – المصدر نفسه، ص71.
[4] – حنفي حسن، **التراث والتجديد**، (مصدر سابق)، ص71.

ينكرون الوحي الإسلامي ومن المستحيل بالنسبة إليهم إرجاع الظواهر الفكرية التي يدرسونها إلى أصولها في الكتاب والسنة عن اعتقاد أو عن تعود بل يرون أن الوحي ذاته نتاج التاريخ[1] »

وما يمكن استخلاصه من هذا المنطلق المنهجي المستعمل في دراسة الظاهرة الفكرية أن النزعة العلمية في نظر "حسن حنفي" خاصة بالمستشرقين عند دراستهم للتراث الإسلامي أو الفكر الإسلامي حيث أنهم جردوه من أصله والذي هو الوحي واعتبروه نتاج التاريخ وكأنهم يدرسون الفكر الإسلامي بموضوعية إلا أن انعدام الموضوعية في استخدام مناهجهم يؤدي بالفكر الإسلامي إلى الضياع لأن أغلبية المستشرقين ينكرون الوحي ومن المستبعد يرجعون الظاهرة الفكرية(الوحي) إلى أصلها الأول لأن نوازعهم الذاتية تطغى عليهم وهنا نجد "حسن حنفي" ينبه إلى أن هذه النعرة العلمية تؤدي إلى التفريغ من المحتوى أي استبعاد الوحي وإبعادنا عن فكرنا الإسلامي ومن خلال هذا قام بنقد مناهج المستشرقين.

ومن خلال هذا رأى بعض الباحثين أن حسن حنفي قام بنقد مناهج المستشرقين أولها النعرة العلمية التي تعني التفريغ المركزي. حيث أن "حسن حنفي" يقول: «فالنعرة العلمية التي تقوم عليها مناهج المستشرقين تعني دراسة الظاهرة الفكرية كظاهرة مادية خالصة، وكتاريخ خالص مكون من شخصيات وأنظمة اجتماعية وحوادث تاريخية محضة، يمكن تحليلها إلى عوامل مختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية تحديد نشأتها وطبيعتها، وتحاول ابتداء من هذه العوامل المتفرقة تركيب الظاهرة بدعوى تفسيرها وهكذا تفقد الظاهرة طابعها المثالي وتنقطع عن أصلها في الوحي[2]»

– هنا إشارة إلى أن المستشرقين قاموا بدراسة التراث الإسلامي أو الفكر الإسلامي بمناهج مادية محضة وبذلك فقد الفكر طابعه المثالي الصحيح ولا تكون بينه وبين الوحي أي صلة. وسبب ذلك أن جل المستشرقين كانوا أهل الكتاب لا يؤمنون بالوحي الإسلامي وربما ردوه لبيئته باعتباره نتاجا لها، وكذلك عدم تخصص المستشرق في ميدان بحثه والحقيقة هي تخصصهم بداية في التاريخ، كتاريخ العلوم والحضارات خاصة وأن المنهج التاريخي كان أهم مناهجهم وبقية المناهج كالهوامش عليه، ويكشف نص **"التراث والتجديد"** ذاته عن ذلك بتخصيص الجزء الأكبر من نقد المناهج لنقده– المنهج التاريخي – منفردا[3] ،وقد تم نقد المناهج الاستشرافية وهي: المنهج التاريخي– المنهج التحليلي – المنهج الإسقاطي–منهج التأثر والتأثير– يعد ترتيبها في بنية نظرية تسمح بآلية عمل تكاملية فيها بين أجزائها، فيقوم التاريخ بالرصد الموضوعي الوصفي للظاهرة دون تنقيب عن الأصول في الوحي والشعور وهو ما يستبدل الظاهرة المادية بأخرى مثالية وشعورية ويفتح الباب لردها إلى علل آلية، وهو تفريغ الفكر من محتواها المثالي ويظهر الشخص دون الفكر في اصطلاحات السُنِيةٌ والرُّشيدية برد الفكر إلى الشخص.[4]

قام المفكر "حسن حنفي" من هذا المنطلق المنهجي بنقد مناهج المستشرقين فيقوم التاريخ باستخدام الموضوعية اتجاه الظاهرة المدروسة دون البحث في منبعها في الوحي الشعوري.

وبعد إفراغ الظاهرة من محتواها المثالي يقوم المنهج التحليلي بردها إلى علل وظواهر سابقة في الوجود فيفتتها إلى أجزاء وشظايا متناثرة ليمهد للقضاء عليها، ثم يأتي المنهج الاسقاطي الذي يسقط الانطباعات والصور الذهنية من ذهن الباحث على ما بقي من الظاهرة في محاولة لتفسيرها وفهمها محاولة مصحوبة بخطأ في الإدراك وبموقف نرى "حسن حنفي" الظاهرة الموجودة في الواقع وغير الموجود في فكرة"[5].

---

[1] – المصدر نفسه، ص71.

[2] – المصدر نفسه، ص71.

[3] – النشار مصطفى، **فلسفة حسن حنفي مقاربة تحليلية نقدية**، (مرجع سابق)، ص194.

[4] – المرجع نفسه، ص195.

[5] – المرجع نفسه، ص 196.

وفي الأخير يأتي منهج التأثير والتأثر على الفتات الباقيات من الظاهرة فيحيلها إلى حضارات وأجناس وأديان أخرى سابقة أو محاورة وهو منهج تلقائي لا خطوات له ولا منطق يطيقه الباحث بمجرد النظر في الأثر ويحيله إلى الخارج أيا ما كان ذلك الخارج، المهم هو (التفريغ المركزي) وربما كان الأليَّق تسمية هذه الظاهرة بذلك نظرا لاتجاه الفاعلية والقوة الناشئة عن تآزر المناهج الأربعة وهدفها"[1].وما يمكن استخلاصه أن هذه المناهج الأربعة تقوم على إتباع الظن والهوى ولا تقوم على "الذاتية الشعورية " حسب ما وضحه حسن حنفي لأن هذه يظهر أن النعرة العلمية إدعاء لا يقوم على أساس منطقي ومنهج موضوعي صحيح وإنما هدفها تفريغ الفكر الإسلامي ومحتواها وتجريده من كل ما يخصه وهذه مغالطة في نظره

3.6النزعة الخطابية: بعد أن وضح "حسن حنفي" موقفه من مناهج المستشرقين في دراسة الفكر الإسلامي وما وصفه لها بالنعرة العلمية نجده أيضا يقوم بنقد مناهج المسلمين (النزعة الخطابية) أو ما سماه بالتجميع المركزي. وهي نزوع الباحث المسلم للدفاع عن دينه وحضارته، وهو اتجاه ساذج يعبر عن مراهقة فكرية وهو ذات الاحتمال الثاني فيما سبق كما يمكن أن يكون عليه عقيدة الباحث والنتائج المترتبة على ذلك وتعتمد هذه النزعة على طرق لا على مناهج محكمة[2].ويبين حسن حنفي هذه النزعة لدى الباحثين الذين ينتمون إلى نفس الحضارة في قوله: «وهي النزعة التي تسود معظم الدراسات التي يقوم بها الباحثون الذين ينتمون إلى نفس الحضارة وهو الخطأ المضاد للنعرة العلمية السائدة في معظم دراسات المستشرقين وبالرغم من أن النزعة الخطابية تعطي الأولوية للوحي على التاريخ إلا أن الاتجاه اتجاه ساذج يعبر عن نوع من المراهقة الفكرية حيث تسود العاطفة ولانفعال ويصدر الفكر مندفعا في حمية دون وضوح نظري، فهو ناتج عن أزمة أكثر من صدوره عن موقف فكري، أزمة الحق الضائع والعجز العقلي، والتخلف الجماهيري[3]»

وتظهر النزعة الخطابية في عدة مناهج هي في الحقيقة تنويعات مختلفة على الخطابة دون أن تكون مناهج محكمة ذات أصول وقواعد وأهمها التكرار أو تحصيل حاصل والتقريط أو الدفاع والجدال والمهاترات والرؤية الحدسية قصيرة المدى:

أ/ التكرار أو التحصيل: وهي تكرار مضمون النص المدروس دون الإدلاء بأي فهم أو تفسير لها.

ب/التقريط أو الدفاع: وتظهر النزعة الخطابية أيضا كالتقريط للتراث القديم أو لمصدره ثم الدفاع عنه والدعوة له والدفاع في الحقيقة خلط بين التبرير والتفكير، فهو يقيل موضوعه ثم يبرره ويدافع عنه دون أن يضعه موضوع التساؤل ودون أن يحاول معرفة أي بناء نظري له أو أي أسس عقلية يقدم عليها[4].

ويورد لنا حسن حنفي مثالا عن مثل هذا النوع من النزعة الخطابية والطريقة التي استخدمناها في الفهم «و الأمثلة على ذلك كثيرة فمثلا التوحيد ندافع عن التنزيه دون أن نتحقق من سوء فهم التنزيه عندما يتحول إلى وظيفة نفسية تساعد على الدفاع عن السلطة[5]».

ما يمكن التوصل إليه أن الطريقة الأولى (التحصيل الحاصل) وهو أن الباحث يدعي فهم مضمون النص دون أن يقدم دليلا وافيا كافيا يدعو إلى الفهم والتفسير لهذه الظاهرة أما الطريقة الثاني وهي التسليم بالظاهرة دون البحث عن أساسها النظري ويحاول الباحث الدفاع عنها وتبريرها

ج/الجدل و المهاترات: ينشأ عن أساس رهيب بوابة كل كاتب[1] فهي نتيجة للمنهج الدعوى السالفة في الصراع بين الباحثين من الحضارة نفسها أو من حضارتين مختلفتين.

---

[1] – المرجع نفسه، ص196.

[2] – المرجع نفسه، ص ص199-200.

[3] – حنفي حسن، **التراث والتجديد**، (مصدر سابق)، ص ص 97-98.

[4] – المصدر نفسه، ص100.

[5] – المصدر نفسه، ص100.

د/ الحدس قصير المدى: إذا كان بالإمكان تسمية النزعة الخطابية منهجا فذلك لأنها استطاعت أن تتحول إلى منهج في الدراسة قائم على الحدس القصير المدى في الاتجاهات الحالية، ويقصد بالحدس القصير المدى ما يلاحظه بعض الباحثين من حقائق في التراث توصف ابتداء من نشأتها من الوحي، هو حدس لأنه قائم على إدراك مباشر لبعض حقائق في التراث وهو قصير المدى لأنه لم يتعد نظرات متفرقة هنا وهناك دون أن تتجمع في بناء نظري كامل يمكن أن يكون نموذجا لوصف الظواهر الفكرية أو منطقا لتفسير الوحي[2].

فالمفكر "حسن حنفي" قدم نقدا وافيا للطرق المستعملة في النزعة الخطابية القائمة على فكرة وهذا ناتج عن المراهقة الفكرية فقط أساسها التكرار والتقريظ ونشأتها الجدل والمهاترات وتطورها الحدس القصير المدى لدى الباحث. ونجد "حسن حنفي" يبين لنا هذا النوع في الحركات التجديدية المعاصرة موضحا كمثال على ذلك يقول: «التوحيد كما يصوره الأفغاني وإقبال مثلا ليس علم الكلام الموروث من نظرية الذات والصفات والأمثال بل هو حياة وحركة وقوة على الأرض وحياة في الشعور[3] ولا تحرير الإنسان وتأسيس للمجتمع الواحد ذي الطبقة الواحدة وتوحيد للشعور بين القول والعمل والوجدان والفكر وتوحيد البشر كما يصوره الشهيد سيد قطب تحرر الوجدان الإنساني من كل قيود وتأسيس لمجتمع العدل والإخاء[4]»

– وما يمكن التوصل إليه من أفكار من خلال هذا المنطلق هو أن "حسن حنفي" حاول أن يقدم لنا تصور ذهني لفهم المفاهيم ووصفها في إطارها المناسب لها فمثلا نتكلم عن مفهوم التنزيه والتوحيد مفهومان يختلفان وعند حديثنا عن مفهوم التنزيه فنحن لا نتحدث عن الحرية فلكل مفهوم مفهومه الخاص بالإضافة إلى ذلك فهذه الأخيرة (أي النزعة الخطابية)تتميز بتكرار رأي ترديد السابق في الحاضر بدون أساس أو قواعد أو منهج يبين لنا أن ندافع عن تراثنا بدون أن نبحث في هذا التراث.

ويوضح بعض الباحثين أن هذه نقيضا للحركة السابقة أي النعرة العلمية، ينزع هذا الأسلوب إلى التكتل والتمركز الداخلي والتعميم على الخارج، وفرض سياسة إحلال الواردات على الواقع وهو ما تم التعبير عنه (بالتجميع المركزي) ومثلما نقد مناهج المستشرقين يقوم أيضا بنقد مناهج المسلمين على اختلاف الغايات، فليس الهدف هو التجديد بل الحفاظ على المعتقد الشخصي وصونه من كل نقد أو شك[5].

وفي الأخير بعد ما بين أهم المعطيات التي تتميز بها تلك النزعتين حسب رأى "حسن حنفي" نجده موضحا موقفه الصريح والتوضيحي الذي نتج منهما في قوله: «إذا كان خطأ النعرة العلمية أنها" تعرف كيف تقول" دون أن تعرف" ماذا تقول" "فإن خطأ النزعة الخطابية" أنها تعرف" ماذا تقول" دون أن تعرف " كيف تقول" والتراث والتجديد محاولة لتفادي الخطأين معا إذ يحاول أن يعرف " ماذا يقول" وهو التراث و"كيف يقول "وهو التجديد[6]»

ومنه نستنتج أن النزعة العلمية أدركت المنهج الصحيح لفهم الظاهرة الفكرية ولكنها لم تفهم الظاهرة بكل جوانبها وهي عكس النزعة الخطابية فإذا كان المنهج صحيحا والفكرة خاطئة تؤدي إلى عدم القدرة على فهم وتفسير الظاهرة المدروسة وهو نفس الخطأ الذي وقعت فيه النزعة الخطابية ولهذا قدم "حسن حنفي" نقدا لكليهما وقدم بديلا للفهم ،لتفادي خطأ النزعتين يكون ذلك عن طريق " التجديد" ، فإذا كان التراث وسيلة فالتجديد هو بيت القصيد الذي نصبو إليه .

---

[1] – المصدر نفسه، ص103.

[2] – المصدر نفسه، ص104.

[3] – حنفي حسن، **التراث والتجديد**، (مصدر سابق)، ص104.

[4] – المصدر نفسه، ص104.

[5] – النشار ومصطفى، **فلسفة حسن حنفي مقارنة تحليلية نقدية**، (مرجع سابق)، ص200.

[6] – حنفي حسن، **التراث والتجديد**، (مصدر سابق)، ص105.

وصفوة القول باعتبار أننا من المدافعين عن التراث، الذى يغضبنا هو أن " حسن حنفي" لا يرى في النصوص المتوارثة جيلا بعد جيل سوى الجانب المادي من التراث، وهو يهتم بالموروث الواقعي، أي بالأفكار والقيم والمعتقدات السائدة بين المواطنين والمواطنات في أيّ بلد، فهي التي تحرك سلوكهم وتكمن وراء نظرتهم للحياة. وإذا كان هناك من يعتقد أن التراث هو عقبة أمام التقدم، فإن العقبة لا توجد فى النصوص التي تتعدد تفسيراتها لدى الجيل الواحد، الجدير بالاهتمام هو تلك الأفكار والمعتقدات والتصورات التي تسود بين الناس في الحاضر والتي تحدد كيف يواجهون حاضرهم ويصنعون مستقبلهم. والمفكر "حسن حنفي" لا يساوي بين الموروث بهذا المعنى والدين، فالدين بحسب فهم الناس له هو عنصر واحد من عناصر ذلك الموروث، ولكن هناك عناصر أخرى داخله لا علاقة لها به. ومثل هذا الأمر مفهوم تماما في مصر وإن كان الخطاب عن التراث يتجاهله.

كما نتعارض مع "حسن حنفى" عندما نظر إلى بعض عناصر هذا الموروث الحي أنها بالفعل عقبة أمام التقدم. النهضة الحقيقية تقتضى التمسك بالعلم، والإخلاص في العمل، وعدم التواكل على ما قد يأتي به الغيب، وقبول الحق في الاختلاف، والمساواة بين الرجل والمرأة، واحترام الوقت ولكن بعض القيم المتوارثة تشجع على الإيمان بالخرافات .

ونحن لا نتفق مع "حسن حنفي" عندما يرفض منهجين فيما يسمى الإصلاح. أولهما الذي يدعو ببساطة للعودة إلى الماضي والتمسك بما كان عليه السلف الصالح. الزمان قد تغير من وجهة نظره، وما كان صالحا في الماضي على كل قيمته، ليس بالضرورة صالحا للحاضر، وثانيهما الذي يدعو الاستسلام للموروث بكل عناصره سوف يبقى طريق النهضة بعيد المنال، فلا يمكن تحقيق النهضة فى رأيه إلا إذا كانت هناك الثقافة الممهدة لها والمشجعة على تواصلها. ينبغي الانتقاء بين عناصر الموروث والحرص على اتباعها إذا كانت تتفق مع ضرورات النهضة وتنحية تلك العناصر التي تعوق الانتقال إلى طريق النهضة والسير عليه.

7.خاتمة:

ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع " موقف حسن حنفي من القراءات المختلفة للتراث " يمكن استخلاص جملة من النتائج أهمها ما يلي:

أولا/إن التراث هو مجموع ما خلفته قرائح الأقدمين وصفوة الأسلاف من فكر وعلم وفن ونمط عيش وفنون حضارة مما يمكن لجيلها الحالي الإفادة منه، والاستعانة به على حل ما يواجه من المشكلات والتحديات، فهو حياة أقوام.. لغتهم وأفكارهم وعقيدتهم وممارساتهم الحياتية ورؤاهم، إنجازاتهم وأعرافهم من عادات وتقاليد تصنع ما نطلق عليه الموروث والتراث العربي هو مجموع ما ورثناه، أو أورثتنا إياه أمتنا من الخبرات والإنجازات الأدبية والفنية والعلمية، ابتداءً من أعرق عصورها إيغالاً في التاريخ، حتى أعلى ذروة بلغتها في تقدّمها الحضاري.فمعناه بسيط والصعوبة تكمن في التعامل معه.

ثانيا/ قام المفكر "حسن حنفي" بقراءة ما قدمه سابقوه حيث أخذ موقفا سلبيا يبدو للوهلة الأولى متمثلا في اتجاهات ثلاثة والتي رأى أنها قرأت التراث قراءة سطحية وبالتالي لا يمكن إحداث تغيير أو إعادة بناء كل ما هو تراثي.

ثالثا/ أكد على الدعوة إلى البحث في التراث بحثا من العمق وهي مسؤولية كل جيل.

رابعا / بين حضور الاتجاهات ومقابل ذلك قدم بديلا تجسد في مشروعه" التراث والتجديد" كمشروع ثوري من خلال تحويل كل عناصر التراث إلى إيديولوجية ثورية لتفسير الواقع المعيشي.

خامسا / قدم نقدا للمستشرقين من خلال منطقاتهم المنهجية التي تمثلت في النعرة العلمية معبرا عنها أنها تعرف كيف تقول (أي لديها منهج) ولكن لا تعرف ماذا نقول.

سادسا/ وجه نقدا للمنطلق المنهجي المتمثل في النزعة الخطابية الخاصة بالمسلمين ،معبرا عنها أنها تعرف ماذا نقول ولكنها لا تدرك كيفية القول.

ومنه يعتبر "حسن حنفي" التجديد إعادة تفسير التراث طبقًا لحاجات العصر؛ فالتراث هو الوسيلة والتجديد هو الغاية، وهذه الغاية هي الإسهام في تطوير الواقع وحلّ مشكلاته، وبذلك فالتراث عنده ليس هدفًا بذاته، بل وسيلة تُدار حولها إمكانات التجديد، أيْ: إنّ كلّ ما لا يلائم الواقع والعصر يُنبذ ولا يؤخذ به ولو كان متفَقًا عليه بين العلماء والفقهاء.

قائمة المصادر و المراجع:

- القرآن الكريم

أولا/قائمة المصادر:

1-حنفي حسن، التراث الإسلامي"،دراسة تاريخية ومقارنة"،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،د،ط، 1998.

2- حنفي حسن، موقفنا من التراث القديم، المؤسسات للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة "مصر"، ط4 ، 1992

3-حنفي حسن، التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، مؤسسة الهنداوي، د.ب، ط2، 2017م.

4-حنفي حسن، الدين والثورة في مصر1952/1981م، الدين والثقافة القومية، ج1،4 ،مكتبة مدبولي، القاهرة،مصر، ط1، 1987م

ثانيا/قائمة المراجع:

1- النشار مصطفى، فلسفة حسن حنفي مقاربة تحليلية نقدية، نيويورك للنشر والتوزيع، القاهرة،مصر، ط1، 2017م.

2-الجابري محمد عابد، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، "لبنان"، ط1، 1991،

3-محمود زكي نجيب،عربي بين ثقافتين،دار الشروق للنشروالتوزيع، بيروت،لبنان،ط2، 1993،

ثالثا/قائمة المعاجم والقواميس والموسوعات:

[1]- ابن منظور،لسان العرب، مج2،دارصادر، بيروت، لبنان، ط2، 1992.

[2]- شوقي،ضيف، المعجم الوسيط ، معجم اللغة العربية،القاهرة،مصر،ط4، 2004.

[3]- نبيل عبدالسلام،هارون،المعجم الوجيز،وزارة التربية والتعليم،القاهرة،مصر،د،ط، سنة 1994.

رابعا/ قائمة الدوريات والمجلات:

1- مراجي رابح ، التجديد عند حسن حنفي، مجلة النقد الثقافي، العدد1، قسنطينة،الجزائر، سنة2013م.

2-تيرس حبيبة، العقلانية العربية وأسس بناء المشروع الإصلاحي عند حسن حنفي، مجلة متون، العدد4، المجلد11،سعيدة،سنة2020.

خامسا/قائمة الرسائل والأطروحات الجامعية:

1- بن حامد عبلة، مفهوم التراث في النقد الحديث: المرايا المقعرة لعبد العزيز حمودة، مذكرة لنيل شهادة الماستر، في تخصص الأدب عربي، كلية أداب ولغات، جامعة محمد بوضياف"، المسيلة"، السنة الجامعية: 2016-.2017

2-مختار ديدوش محمد، ورقة بحثية، التراث والتجديد عند حسن حنفي، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، في تخصص الفلسفة ، كلية علوم إنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2،أبوالقاسم سعد الله ، الجزائر- د.ت.(رسالة غير منشورة).